



المنهج التفسيري عند سعيد بن جبير ((رضي الله عنه))

د. حيدر تقي العلق / جامعة واسط / كلية التربية / قسم علوم القرآن

عن عمر بن ميمون عن أبيه و عن ابن مهران : مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلاّ وهو محتاج إلى علمه

سير أعلام النبلاء ٣٢٥/٤

الغدير ٦٥/١

المنهج التفسيري عند سعيد بن جبير (رض)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد واله الطيبين الطاهرين ،وعلى أصحابه الراشدين ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين ، وبعد.

فانه من البديهي القول بأن علم التفسير يعدّ من اشرف العلوم الدينية لتعلقه بكتاب الله تبارك وتعالى آخذاً أهميته منه فهو من اشرف الفنون وأرقاها فهو الذي من خلاله نفهم كلام الله تبارك وتعالى وما المراد منه، وقد وردت في هذا الشأن نصوص عديدة تؤكد على أهمية التفسير فقد روي عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - انه قال ((الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالأعرابي يهذ (١) الشعر هذا)) (٢)، وكذلك ما روي عن سعيد بن جبير - رضي الله عنه - انه قال ((من قرأ القرآن ولم يفسره كان كالأعمى أو كالأعرابي)) (٣)، وما روي عن الإمام الصادق - عليه السلام - ((لو تدبر القرآن شيعتنا لما شكّوا في فضلنا)) (٤) وما روي أيضاً عن رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - انه قال مبيناً اجر من انتهل من القرآن ((إن هذا القرآن مأدبة الله فاعلموا من مأدبته ما استطعتم. إن هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه)) (٥).

وكذلك ما أخرجه ابن ماجة في سننه انه قال ((إن لله اهلين من الناس ، قالوا : يا رسول الله من هم ؟ قال هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته)) (٦) ، فالمفسرون لكتاب الله تبارك وتعالى هم أهل القرآن وهم أهل الله وخاصته الذين جعل الله لهم منزلة تفوق منزلة غيرهم ، لأنهم اعلم الناس بكتاب الله تبارك وتعالى وأدري الناس به من خلال معرفة مراده من آياته من خلال تفسيرها والوقوف على معانيها.

وسنحاول في هذه الصفحات تسليط الضوء على هذا الموضوع من خلال تناول منهجية التابعي الجليل سعيد بن جبير - رضي الله عنه - الذي كان يمثل مدرسة للتفسير في عصره فقد كان تلميذاً وملازماً لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - حيث أخذ منه علم التفسير ، وما من شك أن من كان تلميذاً لحبر الأمة وترجمان القرآن فلا بد أن يكون هو الآخر مصدراً مهماً من مصادر التفسير .



تعريف التفسير لغة واصطلاحاً:

التفسير لغة هو التوضيح والكشف والبيان ، يقال فسّر الرجل كلامه أي أبانه ووضحه ، جاء في كتاب العين ((التفسير وهو بيان وتفصيل للكتاب، وفسره يفسره فسراً ، وفسره تفسيراً)) (٧) . وجاء في اللسان ((الفسر : البيان. فسر الشيء يفسره، بالكسر، وتفسره ، بالضم ، فسراً وفسّره: أبانه ، والتفسير مثله)) (٨) . قال تبارك وتعالى ((وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)) (٩) ، والمعنى أي بما هو أحسن بياناً وفهماً (١٠) . أما تعريفه اصطلاحاً فهو العلم الذي من خلاله يكون فهم كتاب الله تبارك وتعالى . أو هو العلم الذي يبين مراد الله تعالى من آياته . أو هو الكشف عن معاني آيات القرآن الكريم . أو هو ((علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد - صلى الله عليه واله وسلم - وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه)) (١١) .

ومن خلال هذه التعريفات جميعها يتجسد لنا معنى التفسير وأهميته فهو يتعلق بكتاب الله تبارك وتعالى ويوضحه ويبينه ويستخرج أحكامه.

وقد تنوعت مدارس التفسير ابتداء برسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - الذي يعد المفسر الأول في الإسلام ، قال تعالى ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) (١٢) ثم مدرسة أهل البيت - عليهم السلام - فما اخذ عنهم فهو بحكم المأخوذ عن رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - . ثم مدرسة الصحابة ومن ثم مدرسة التابعين .

وفي هذا البحث سنتحدث عن منهجية التفسير عند التابعين من خلال بيان منهجية التفسير عند التابعي الجليل سعيد بن جبير - رضي الله عنه - والذي كان أستاذه في هذا المنهج هو عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - .

سعيد بن جبير :



وهو ((أبو عبد الله وهو ابن جبير بن هشام مولى بني والبة من بني بن خزيمة)) (١٣) . وهو من بني أسد استشهد على يد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة خمس وتسعين وكان عمره - رضي الله عنه - آنذاك تسعا وأربعين سنة (١٤) ، وكان أصله رحمه الله حبشيا فهو من الموالي ، أخذ عن أئمة الصحابة وكانت بعض رواياته عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن عمر ، وكان أكثرها عن عبد الله بن عباس (١٥).

منهجه في تفسيره:

كان المؤسس الأول لمدرسة التفسير في مكة هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - فهو الذي دعا له رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - بقوله ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)) (١٦) ، فكان رضي الله عنهما يوضح ويفسر لهم ما أشكل عليهم فهمه ، وكان من أعلام هذه المدرسة كلا من مجاهد وعكرمة وطاووس بن كيسان اليماني وعطاء بن أبي رباح فضلا عن سعيد بن جبير (١٧) .

وكان سعيد بن جبير متقدما على هؤلاء في تفسير القرآن الكريم فقد فاقهم نقلا عن ابن عباس ، حتى قيل فيه ((مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه)) (١٨) . ولم يكتف بأخذ التفسير عنه - رضي الله عنه - وإنما أخذ عنه أيضا علم القراءات (١٩). فكان رحمه الله عالما بالتفسير والقراءات والفقه والحديث ، ولعل علمه بالتفسير غلب عليه وما ذلك إلا لتعلقه بكتاب الله تعالى ، وأدرك ذلك عبد الله بن عباس مما جعله يرشد الناس إليه وإلى علمه فقد ذكر الشيخ الطوسي بأن ابن عباس كان إذا جاءه أهل الكوفة يستفتونه يقول لهم ((أليس فيكم ابن أم الدهماء ؟)) (٢٠) وكان يقصد سعيد بن جبير ، وكان - رضي الله عنه - يحب أن يسمع التفسير من سعيد فقال له مرة ((حدث ، فقال : أحدث ، وأنت هنا ؟ فقال : أليس من نعمة الله أن تحدث ، وأنا شاهد ، فإن أصبت فذاك ، وإن أخطأت علّمتك)) (٢١)

وقد انتهج سعيد بن جبير رحمه الله منهج التفسير بالمأثور في تفسيره للقرآن الكريم وابتعد كل الابتعاد عن منهج الرأي فلم يفسر به ، وهذا ما يظهر من خلال تفسيره فهو رحمه الله لا يفسر آية إلا وينقل تفسيرها عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - وكان يضم إلى هذا المنهج منهج التفسير الذي يعتمد على الاستنباط والاجتهاد القائم على استعمال العقل فيما إذا لم يكن هناك نقل عن الصحابة . ومما يدل على أنه رحمه الله كان بعيدا كل البعد عن التفسير الذي يعتمد الاستحسان والهوى أو التفسير بالرأي وأنه كان متحفظا ولا يقول في القرآن برأيه هو أن رجلا سأله أن يكتب له تفسيراً للقرآن ، فغضب سعيد - رضي الله عنه - وقال ((لأن يسقط شقي أحب إلي من ذلك)) (٢٢) ، فهو كان يتحرج في التفسير فلم يفسر آية إلا من خلال حديث أو نص فإن لم يجد فاللغة حينها



تعدّ مصدرا من مصادر تفسيره ، ومن اجل ذلك فقد نبغ في التفسير حتى قال فيه قتادة ((وكان اعلم الناس أربعة ، كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك ، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير ، وكان عكرمة أعلمهم بالسير ، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام)) (٢٣) ، وقال سفيان الثوري ((خذوا التفسير عن أربعة : عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك)) (٢٤) .

وقد اتسم منهج سعيد بن جبير في التفسير بجانبين اثنين:

الجانب الأول : هو نقل التفسير عن الصحابة عن رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - وكان أكثر من نقل عنه سعيد بن جبير هو عبد الله بن عباس وعدي بن حاتم . وكان التفسير في هذه المرحلة لا يعدو كونه نقلا عنهم عن رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - وكان سعيد بن جبير أمينا في النقل عنهم وكان ثقة بإجماع المسلمين (٢٥) ، فقد نص على استقامته السيد الخوئي قائلا ((إن سعيد بن جبير كان يأت بعلي بن الحسين عليه السلام ، وكان علي عليه السلام يثني عليه ، وما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر وكان مستقيما)) (٢٦)

الجانب الثاني : هو تفسيره الشخصي حيث من المعلوم أن ما نقل عن رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - لم يكن ليشمل كل آيات القرآن الكريم وإنما كان التفسير منحصرا بما غمض فهمه وصعب تصور معناه ، وبمرور الوقت ازدادت حاجة الناس إلى التفسير لدخول كثير من الأمم إلى الإسلام ولضياح لغة القرآن ، ومن هنا اخذ التابعون وعلى رأسهم سعيد بن جبير - رحمه الله تعالى - على عاتقه بيان ما خفي فهمه على المسلمين مما لم يرد به نص يفسره ، من خلال الاعتماد على المنهج اللغوي والذي يعد احد المناهج المهمة في التفسير فيما لم يرد بتفسيره قران أو سنة (٢٧) ، ولم يكن هذا منهج سعيد بن جبير - رحمه الله - فحسب ، بل سبقه في ذلك أستاذه عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - الذي اعتمد منهج اللغة في التفسير قبل غيره في بيانه لبعض الألفاظ والعبارات التي لم يأت نص بتفسيرها فعبد الله بن عباس هو ((أول من اعتمد المنهج اللغوي في تفسيره بعدد من آيات القرآن الكريم ، وقد سأله نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر تفسير عدد من الآيات الكريمة ، واشترطا أن يأتيهما بما يؤيد ذلك من كلام العرب ، ففسّر ذلك على شرطهما)) (٢٨) .

أما بالنسبة للمنهج الأثري فقد اعتمد سعيد بن جبير رحمه الله طريقتين :

الطريق الأول رفع التفسير إلى الصحابي ثم إلى رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - ومثال ذلك ما رواه سعيد بن جبير - رضي الله عنه - عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - ، قال : لما نزلت ((قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)) (٢٩) ((قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم؟ قال : علي وفاطمة وولدهما)) (٣٠) . وأيضا ما رواه سعيد بن جبير - رضي الله عنه - عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى ((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)) (٣١) قال ((



الكوثر الخير الذي أعطاه إياه ، قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة قال : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه)) (٣٢). ومن الأمثلة أيضا على هذا الجانب هو ما رواه سعيد بن جبير - رضي الله عنه - عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى ((وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)) (٣٣) قال ((لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُؤْذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبِّكُمْ اتَّخَذَ بَيْتًا وَأَمْرَكُمْ أَنْ تَحْجُوهُ فَاسْتَجَابَ لَهُ مَا سَمِعَهُ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ أَكْمَةٍ أَوْ تَرَابٍ أَوْ شَيْءٍ، فَقَالُوا لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ)) (٣٤)

وأيضاً ما رواه سعيد بن جبير - رضي الله عنه - عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى ((وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) (٣٥) قال ((القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك)) (٣٦) ، وفي تفسير قوله تعالى ((وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)) (٣٧) روى سعيد بن جبير - رضي الله عنه - عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن المقصود من هذه الآية هو علم الله تبارك وتعالى (٣٨).

أما النوع الثاني فهو التفسير الذي لم يرفعه سعيد بن جبير - رضي الله عنه - إلى عبد الله بن عباس أو أحد من الصحابة ، ومن أمثلة ذلك ما قاله سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى ((شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقُسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (٣٩) قال ((كان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً لكل حي من أحياء العرب الواحد والاثنتان فلما نزلت هذه الآية خرت الأصنام في الكعبة سجداً)) (٤٠). وفي تفسير قوله تعالى ((فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)) (٤١) قال سعيد بن جبير ((اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي)) (٤٢) ، وفي تفسير قوله تعالى ((فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ)) (٤٣) قال : الطاغوت هو الكاهن (٤٤) ، كما أن سعيد بن جبير فسّر قول الله تعالى ((وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)) (٤٥) بقوله ((يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون إلى الموت وهي من المبشرات)) (٤٦) . وفي تفسير قوله تعالى ((تَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكُرٍ)) (٤٧) قال سعيد بن جبير ((يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون : سبحانك وبحمدك)) (٤٨) . وفسّر سعيد بن جبير - رضي الله عنه - قوله تعالى ((سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ)) (٤٩) بأنه اسم من أسماء نبينا محمد - صلى الله عليه واله وسلم - واستدل بقوله تعالى (((تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)) (٥٠). فمن خلال هذه النماذج من التفسير يتضح لنا بأن سعيد بن جبير كان يمثل بحد ذاته مدرسة من مدارس التابعين وذلك من خلال منهجه في التفسير الذي غالباً ما كان يعتمد الأثر القرآني أو النبوي من خلال نقله واعتماده على أحاديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنه .



ولم يقتصر تفسير سعيد بن جبير - رضي الله عنه - على نقل آراء شيخه عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - وإنما تجاوز ذلك إلى مخالفة بعض ما نقل عنه

فقد خالف سعيد بن جبير أستاذه عبد الله بن عباس في بعض الموارد منها ما جاء في تفسير قوله تعالى ((وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)) (٥١) فقد ذهب ابن عباس - رضي الله عنهما - إلى أن المقصود بالعاكفين المصلين ، فيما ذهب سعيد بن جبير - رضي الله عنه - وقتادة إلى أنهم أهل البيت الحرام (٥٢) ، وكذلك في الآية السابعة من سورة الطارق وهي قوله تعالى ((يُخْرِجُ مِنَ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)) حيث فسّر ابن عباس - رضي الله عنهما - الترائب بأنه موضع القلادة ، فيما فسرها ابن جبير - رحمه الله بأنها جيد المرأة (٥٣) ، وكذلك خالف سعيد بن جبير - رضي الله عنه - ابن عباس - رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ((وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى)) (٥٤) فقد ذهب ابن عباس في إحدى روايته بأن معنى سجي ذهب ، فيما فسرها ابن جبير بمعنى أقبل (٥٥) ، واني أعزو التباين بين تفسير ابن عباس وتفسير سعيد ابن جبير (رضي الله عنهما) إلى اتساع مجال التفسير وعدم اعتماده على الأثر بقدر اعتماده على اللغة من جانب ، وعلى الاجتهاد والاستنباط العقلي من جانب آخر ، فالمشتركات اللفظية في القرآن الكريم كثيرة ، ويكون تفضيل وترجيح احدها على الآخر مبني على الاستنباط العقلي والاجتهاد المستند الى المقومات الصحيحة للتفسير ، وهذا هو سر القرآن الكريم الذي احتوى من معاني البلاغة الشئ الكثير والذي فتح من خلاله مجال البحث والتفسير وعدم الانغلاق على تفسير في زمن سابق لان التفسير في حقيقته متجدد تبعا للتطور الحاصل في هذه الحياة ، فسعيد ابن جبير - رضي الله عنه - يجتهد في ما لم يكن التفسير فيه اثريا وقطعيا كأن يكون تفسيرا للقران بالقران أو تفسيرا بالسنة النبوية الشريفة ، فليس له حينها إلا متابعة التفسير والالتزام به ، وهذا هو عين ما فعله ابن عباس - رضي الله عنه وعن أبيه - حيث فسّر الحروف المقطّعة مثلا تفسيراً نقله عنه سعيد بن جبير لم يكن ليستند إلا على الاجتهاد المبني على الاستنباط العقلي، وهذا هو المشروع مع عدم مشروعية القطع بصحته فالقطع بصحته في هذه الحال من الأمور المذمومة كما نص على ذلك المفسرون باعتبار أن هذه الأحرف هي من المتشابه وهذا هو التأويل . وإذا كان التفسير هو القطع بمراد الله تعالى مثلا ، فان التأويل هو عدم القطع بالمراد لأنه يكون حينها منحصر بالآيات المتشابهة ، فمثلا فسّر ابن عباس قوله تعالى ((كهيعص)) (٥٦) بقوله ((الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق)) (٥٧) ، وهذا هو الذي نعنيه فهو تفسير لا قطعي والدليل على عدم قطعيته هو الرأي الثاني فيه حيث نقل الحاكم عن سعيد بن جبير - رضي الله عنه - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن معنى ((كهيعص)) هو ((كاف هاد أمين عزيز صادق)) (٥٨) ، وفي رواية ثانية جاء لفظ ((كبير)) بدل ((كاف)) (٥٩) ، فهذه التفسيرات يكون غالبا اجتهاديا ، والفرق بين هذا اللون من



التفسير وبين التفسير بالرأي المذموم هو أن التفسير بالرأي يعتمد الاستحسان دون دليل نقلي أو عقلي ، وسعيد ابن جبير - رضي الله عنه - ابعد ما يكون عن مثل هذا اللون من التفسير .

ولم يكتف سعيد - رضي الله عنه - ببيان التفسير وإنما كان يشير في بعض الأحيان إلى سبب النزول من حيث إن سبب النزول له أهمية كبيرة في تجسيد المعنى وإيضاحه ، منه ما ذكره دون أن ينسبه إلى ابن عباس - رضي الله عنه - كما في قوله تعالى ((وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (٦٠) حيث اخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير - رضي الله عنه - ((أن امرأ القيس بن عابس وعبدان بن اشوع الحضرمي اختصما في ارض ، وأراد امرؤ القيس أن يحلف فنزلت (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم الْآيَةِ)) (٦١) .

فهذا قول مرسل ، والمقصود من المرسل هو ما رفع منه الصحابي باعتبار أن بين التابعي وبين رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - الصحابي فهو يعد من مراسيل سعيد بن جبير ، ومن مراسيله أيضا ما أخرجه ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير - رضي الله عنه - انه قال ((قال رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - لا تصدقوا إلا على أهل دينكم فانزل الله تعالى (ليس عليك هدام) أي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل دخولهم في الإسلام)) (٦٢) ، وما أرسله سعيد بن جبير أيضا في أسباب النزول هو في تفسير قوله تعالى ((وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا)) (٦٣) حيث ذكر سعيد بن جبير بان هذه الآية نزلت حينما كان رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - يستلم الحجر الأسود إذ منعه قريش إلا بعد أن يمدح ويمس آلهتهم (٦٤) فحدث رسول الله نفسه وقال ((ما علي أن الم بها والله يعلم أنني لها كاره بعد أن يدعونني استلم الحجر)) (٦٥) فانزل الله تعالى الآية . وأيضا ما جاء عنه - رضي الله عنه - في سبب نزول قوله تعالى ((وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)) (٦٦) حيث روى أن رجلا أنصاريًا جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - وقد أصابه الحزن ، فسأله رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - عن سبب حزنه فقال ((يا نبي الله نحن نغدو عليك ونروح ننظر في وجهك ونجالسك وغدا ترفع مع النبيين فلا نصل إليك فلم يرد عليه النبي - صلى الله عليه واله وسلم - فأتاه جبرائيل بهذه الآية فبعث إليه النبي - صلى الله عليه واله وسلم - يبشره)) (٦٧) أما ما وافق فيه سعيد بن جبير عبد الله بن عباس - رضي الله عنهم - في أسباب النزول فكثير ومن أمثلته ما جاء في سبب نزول قوله تعالى ((وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ)) (٦٨) وقوله ((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)) (٦٩) حيث انطلق من كان في بيته يتيم فعزل طعامه وشرابه وملبسه عن طعامه وشرابه وملبسه ، وكان اذا فضل من طعام اليتيم شئ حبسوه حتى يأكله اليتيم أو يفسد ، فشق عليهم الأمر فشكوه إلى رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - فنزلت لأجله الآية (٧٠) ، وأما ما نقله سعيد بن



جبير - رضي الله عنه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في أسباب النزول فهو ما جاء في بيان سبب نزول قوله تعالى ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ)) (٧١) حيث روى سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - ((أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - دخل بيت المدارس على جماعة من اليهود ، فدعاهم إلى الله فقال رجلان منهم : على أي دين أنت ؟ فقال : على ملة إبراهيم . قالوا فإنه كان يهوديا . قال : فاهلوا إلى التوراة ، فأبى عليه ، فنزلت هذه الآية)) (٧٢) .

من هذا نخلص إلى أن لسعيد بن جبير دورا في التفسير ، حيث يكاد لا يخلو كتاب في التفسير عن النقل عنه أو ذكر اسمه سواء فيما يتعلق بالتفسير أو بأسباب النزول ، ومن خلال ما تقدم ثبت لنا بان سعيد ابن جبير - رضي الله عنه - قد وافق ابن عباس - رضي الله عنهما - في أكثر جوانب التفسير ، وخالفه في جوانب أخرى ، أما عن سبب المخالفة فهو في نظري يعزى لأمر ثلاثة :

الأول : أن لا يكون النقل دقيقا أو صحيحا عن سعيد ابن جبير - رضي الله عنه - أو ربما عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - فقد يكذب على أحدهما ، وإذا كان أناس قد كذبوا على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فمن باب أولى أن يكذب على الصحابة أو التابعين بان ينسب إليهم ما ليس من أقوالهم .

الثاني : أن الجوانب الخلافية في التفسير بين سعيد بن جبير - رضي الله عنه - وعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - لم يكن ليستند على اثر من قران أو سنة وإنما كان تفسيره يعتمد على الاجتهاد والاستنباط . ومعنى هذا هو أن عدم المطابقة والمخالفة تعدّ أمرا طبيعيا لأن نتاج الفكر الإنساني يختلف من إنسان لآخر فكل استنباطه واجتهاده .

أما ما انفرد فيه سعيد بن جبير - رضي الله عنه - فيعزى في نظري إلى

أن الحاجة إلى بيان جميع الألفاظ وتفسيرها في عهد عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - لم تكن موجودة وذلك لمعرفة الناس بها وعدم احتياجهم إليها ، على العكس من زمن التابعين حيث اشتدت الحاجة إلى علم التفسير بشكل أكثر إلحاحا ، وذلك لضياح لغة القران وضياح مفاهيمه ، فضلا عن ذلك فان ابن عباس نفسه كان يتوقف عن الإجابة أحيانا ، من ذلك ما أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير - رضي الله عنه - انه سئل عن قوله تعالى ((وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا)) (٧٣) فقال ((سألت عنها ابن عباس فلم يجب فيها شيئا)) (٧٤) ، ومما نقل عنه - اعني عن ابن عباس - رضي الله عنهما قوله ((كل القران اعلمه إلا أربعا : غسليين ، وحنان ، والأواه ، والرقيم)) (٧٥) ، على الرغم من انه قد نقل عنه في تفسيرها بان الحنان هو الرحمة والعطف (٧٥) ومعنى الآية ورحمة من عندنا (٧٦) ، وهذا التحفظ من ابن عباس - رضي الله عنهما - انعكس ايجابيا على تفسير سعيد بن جبير - رضي الله عنه - من حيث إن سعيدا لم يتناول كل آيات القران ، وما ذلك إلا لتحفظه في التفسير وانه لا يمكن أن يفسر بدون



دليل أو مستند اثري كان أم لغوي . لان التفسير الذي لا يستند على المقومات الصحيحة له هو وكما تقدم تفسير مذموم كما قال رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)) (٧٧) ، وعلى هذا فلم يكن التابعي الجليل سعيد بن جبير - رضي الله عنه - من المتقولين في كتاب الله بما لا يعلم وإنما كان يعتمد القرآن والسنة التي كان كثيرا ما يأخذها عن حبر الأمة وترجمان القرآن في تفسيره لآيات الكتاب المجيد

الخاتمة :

- اعتمد سعيد بن جبير - رضي الله عنه - منهج الأثر في التفسير وكان بعيدا كل البعد عن منهج الرأي .
- استعان رضي الله عنه باللغة في بعض الموارد بصفتها مصدرا من مصادر التفسير يضاف إلى المصدر الأثري.
- لم يهمل سعيد بن جبير منهج العقل ، فكان مجتهدا ومستنبطا في الوقت ذاته.
- وافق سعيد بن جبير - رضي الله عنه - عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - في اغلب جوانب التفسير إلا تلك الجوانب التي كانت تعتمد العقل ، فوافقه في المأثور ونقله عنه ، حتى يكاد يكون أكثر ما نقل عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - هو عن سعيد بن جبير - رضي الله عنه .
- خالف سعيد بن جبير في موارد قليلة أستاذة ابن عباس - رضي الله عنهما وهذا يعود إما إلى المنهج الذي اعتمده عبد الله بن عباس بان يكون منهجا مرنا وقابلا للتجديد من حيث اعتماده على الاجتهاد والاستنباط أو يعزى ذلك إلى خلل في إحدى الروايتين .
- لم يكتف سعيد بن جبير ببيان معاني الألفاظ وإنما تعداها إلى بيان أسباب النزول كما فعل أستاذة وشيخه عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما ، وما قيل في أسباب الاختلاف بين تفسير سعيد بن جبير - رضي الله عنه - وعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - يقال هنا.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الصادق الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الراشدين .



الهوامش

- ١- بمعنى يسرده ، يقول ابن منظور ((هذذ : الهذ والهذذ :سرعة القطع وسرعة القراءة، هذ القرآن يهذه هذا . يقال : هو يهذ القرآن هذا ، و يهذ الحديث هذا أي يسرده)) . لسان العرب ٣ / ٥١٧
- ٢- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق / ٢٦
- ٣- المصدر نفسه/ ٢٦ وينظر التبيان في تفسير القرآن ١٧/١
- ٤- بحار الانوار ٦٢٨/٣١
- ٥- جامع أحاديث الشيعة ١٠٨ / ١ والمستدرک ٥٥٥ / ١
- ٦- ٧٨ / ١
- ٧- الخليل الفراهيدي ٧ / ٢٤٧ مائة (فسر)
- ٨- لسان العرب ٥ / ٥٥ مائة (فسر)
- ٩- الفرقان / ٣٣
- ١٠- ينظر تفسير شبر / ٣٥٠
- ١١- التفسير والمفسرون / ١٣ وينظر أصول التفسير وقواعده / ٢٧
- ١٢- النحل / ٤٤
- ١٣- الجرح والتعديل ٩ / ٤
- ١٤- ينظر مشاهير علماء الأمصار / ١٣٣
- ١٥- ينظر التفسير والمفسرون / ٩٣
- ١٦- بحار الأنوار ٩٢/٦٦ و المستدرک ٥٣٤ / ٣
- ١٧- ينظر التفسير والمفسرون / ٩٤
- ١٨- البداية والنهاية ٩ / ١١٦
- ١٩- ينظر التفسير والمفسرون / ٩٤
- ٢٠- الاحتجاج ١ / ٣٥٥ وينظر تفسير الثعالبي ١ / ٦٢ وينظر أيضا تهذيب التهذيب ٤ / ١١
- (*) الدهماء هو مؤنث الدهم وهو الأسود . ينظر لسان العرب ١٢ / ٢١٠ فصل الدال المهملة.
- ٢١- تفسير الثعالبي ١ / ٦٢
- ٢٢- المصدر نفسه ١ / ٦٣
- ٢٣- المصدر نفسه ١ / ٦٣
- ٢٤- تفسير الثوري / ١٤ ، والإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٩٩
- ٢٥- ينظر المفيد من معجم رجال الحديث / ٢٥٠
- ٢٦- معجم رجال الحديث ٩ / ١١٩ وقد ذكره ابن حبان في الثقات ٦ / ٧٤
- ٢٧- ينظر التفسير والمفسرون ٧٦
- ٢٨- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم / ١٠٥
- ٢٩- الثوري / ٢٣
- ٣٠- مجمع البيان ٩ / ٤٨



- ٣١- الكوثر / ١
 ٣٢- تفسير الميزان ٣٧١/٢٠
 ٣٣- الحج / ٢٧
 ٣٤- تفسير مجاهد ٤٢٢ / ٢
 ٣٥- البقرة / ١٢٧
 ٣٦- تفسير القرآن للصنعاني ٥٨ / ١
 ٣٧- البقرة / ٢٥٥
 ٣٨- ينظر جامع البيان ١٥ / ٣
 ٣٩- ال عمران / ١٨
 ٤٠- تفسير العياشي ١٦٦ / ١
 ٤١- البقرة / ١٥٢
 ٤٢- جامع البيان / ٥١/٢
 ٤٣- البقرة / ٢٥٦
 ٤٤- ينظر جامع البيان ٢٨ / ٣
 ٤٥- المؤمنون / ٦٠
 ٤٦- جامع البيان ٤٣/١٨
 ٤٧- القمر / ٦
 ٤٨- تفسير الرازي ٢٢٧/٢٠
 ٤٩- الصافات / ١٣٠
 ٥٠- البقرة / ٢٥٢
 ٥١- البقرة / ١٢٥
 ٥٢- ينظر التبيان-الطوسي ٤٥٥ / ١
 ٥٣- ينظر تفسير القرطبي ٥/٢٠
 ٥٤- الضحى / ٢
 ٥٥- ينظر تفسير القرطبي ٩٢/٢٠
 ٥٦- مريم / ١
 ٥٧- الإتيان في علوم القرآن ٢١ / ٢
 ٥٨- المصدر نفسه ٢١/٢
 ٥٩- المصدر نفسه ٢١/٢
 ٦٠- البقرة / ١٨٨
 ٦١- فتح القدير ١٨٨ / ١
 ٦٢- تفسير الآلوسي ٤٥/٣
 ٦٣- الإسراء / ٧٣
 ٦٤- ينظر تفسير الثعالبي ١١٧/٦



- ٦٥- المصدر نفسه ١١٧/٦
- ٦٦- النساء / ٦٩
- ٦٧- أحكام القرآن ٥٨٠/١
- ٦٨- البقرة / ١٥٢
- ٦٩- النساء / ١٠
- ٧٠- ينظر زاد المسير ٢٢٠ / ١
- ٧١- آل عمران / ٢٣
- ٧٢- زاد المسير ٣١٢ / ١
- ٧٣- مريم / ١٣
- ٧٤- الإنشقاق ٣٠٤ / ١
- ٧٥- ينظر مجمع البيان ٤٠٨ / ٦
- ٧٦- تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات / ٤٥٨
- ٧٧- جامع البيان ٧٠/١٦
- ٧٨- مسند الإمام احمد ١ / ٢٣٣ وبحار الأنوار ٢٢٣/٣

المصادر:

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً:

- الإنتقان في علوم القرآن - جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين أبو بكر السيوطي الشافعي - تحقيق سعيد المنسوب - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م - دار الفكر بيروت - لبنان.



- الاحتجاج - أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي - مع تعليقات وملاحظات محمد باقر الخرسان - منشورات النعمان - النجف الاشرف ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.
- أحكام القرآن - أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي - راجع أصوله وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمد عبد القادر عطا - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.
- أصول التفسير وقواعده - بحوث في العلوم القرآنية - الشيخ خالد عبد الرحمن العك - دار النفائس - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - محمد باقر المجلسي - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- البداية والنهاية - أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - حقّقه ودقق أصوله وعلّق حواشيه علي شيري - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- التبيان في تفسير القرآن - أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي - نشر مكتب الإعلام الإسلامي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى .
- تفسير سفيان الثوري - أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري - مراجعة وضبط لجنة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- تفسير العياشي - أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي - تصحيح وتحقيق وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي - طبع ونشر المكتبة العلمية الإسلامية .
- تفسير القرآن - عبد الرزاق بن همام الصنعاني - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - تحقيق الدكتور مصطفى مسلم - الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- التفسير الكبير - أو تفسير الفخر الرازي ومفاتيح الغيب - محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة.
- تفسير مجاهد - أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي - تقديم وتحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتني - مجمع البحوث الإسلامية - إسلام آباد - باكستان .
- تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات - شرح شواهد الكشف - محب الدين افندي - مكتبة ومطبعة مصطفى البابا الحلبي وأولاده.
- تهذيب التهذيب - شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- الثقات - محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- جامع أحاديث الشيعة - الحاج آقا حسين الطباطبائي - طبع في المطبعة العلمية - قم - إيران - ١٣٩٩ هـ.
- الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - أبو الفضل شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي - إدارة الطباعة المنيرية - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.



- زاد المسير في علم التفسير - أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي - حققه وكتب هوامشه محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله - خرّج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيني زغلول - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن علي بن محمد الشوكاني - مطبعة عالم الكتب .
- لسان العرب - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري - نشر وتوزيع أدب الحوزة - قم - إيران ١٤٠٥ هـ .
- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق - الدكتور محمد حسين علي الصغير - دار المؤرخ العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن - أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي - حققه وعلّق عليه لجنة من العلماء والمحققين - قدّم له السيد محسن الأمين العاملي - نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- المستدرك على الصحيحين - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي - أشرف يوسف عبد الله المرعشلي - طبعة مزيدة بفهرس الأحاديث الشريفة - دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- مسند الإمام احمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - دار صادر - بيروت - لبنان.
- مشاهير علماء الأمصار و أعلام فقهاء الأقطار - أبو حاتم محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي - حققه ووثقه وعلّق عليه مرزوق علي إبراهيم - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف - وضعه محمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث القاهرة - مصر - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- معجم رجال الحديث وتصيل طبقات الرواة - أبو القاسم الموسوي الخوئي - الطبعة الخامسة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- المفيد من معجم رجال الحديث - محمد الجواهري - منشورات مكتبة المحلاتي - قم - إيران - المطبعة العلمية - الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ .
- الميزان في تفسير القرآن - محمد حسين الطباطبائي - منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم - إيران .